معنى

لا إله إلا الله

ومقتضاها وأثارها في الفرد والمجتمع

بقلم الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء بالرياض

تقديم : لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الكل يدرك خطر المذاهب الهدامة المنتشرة في بعض أراضي المسلمين ، والمتغلغلة في نفوس بعض منهم ، إما عن جهل وتقليد أو عصبية جاهلية ، ومثل هذه الفئة رغم قلتها – ولله الحمد – عدة وعددًا إلا أن تركها تروج مذاهبها وطرقها المنحرفة أمر له خطورته الكبيرة ، وتأثيره في مسيرة الإسلام وواقع المسلمين .

ومحاربة هذه الفئات ، وكشف ضلالتهم ، وبيان فساد معتقدهم ، ومخالفته هدى الله ورسوله أمر واجب على الأمة الإسلامية جمعاء .

وشرح مذهب أهل السنة والجماعة ، وإيضاحه تجاه كافة القضايا الإسلامية ، وبيان عقيدتهم التي تطابق الحق والهدى أهم وسيلة لكشف مختلف العقائد الفاسدة ، والفرق الضالة التي أعماها إبليس وزين لها سوء عملها ، وعلل لها انحرافها عن الحق والصواب .

ومنذ نشأت الفرق الضالة على أيدي اليهود والمنافقين والذين دخلوا الإسلام بهدف تشويهه وهدمه من الداخل ، والله يقيض لها من يرد عليها ويوضح ضلالها ، ومنافاة مذاهبها لحقيقة الإسلام عقيدة وشريعة .

واليوم تزخر الجامعات الإسلامية وعلى رأسها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالكثير من الكفاءات العلمية القادرة على إيضاح مذهب السلف الصالح – أهل السنة والجماعة – وبسطه للمتعلم وغيره ، وترجمته إلى اللغات المختلفة ؛ ليكون في متناول المسلمين في كافة أنحاء المعمورة ، وليتجنبوا بمعرفته والثبات عليه شتى الأفكار والمذاهب المنحرفة .

وقد تحدث فضيلة الدكتور صالح الفوزان في البحث السابق من هذه السلسلة (الطريق المستقيم) عن حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله .

ويتابع الشيخ صالح جهوده في كل ما فيه توجيه الأمة إلى الحق وإرشادها إليه ، وإيضاح ما علق بعقائدها من تحريفات ، وما تحرص الفرق الضالة على ترسيخه في نفوس العامة من البدع والخرافات ، فيقدم لنا موضوعًا جديدًا مهما ، يبين فيه (معنى لا إله إلا الله ، ومقتضاها ، وآثارها في الفرد والمجتمع) .

وهل هناك كلمة أعظم وأهم من (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد الفاصلة بين الشرك والإسلام ، التي أجمعت الرسالات السماوية كلها على الدعوة إليها ، والتي شهد الله بها لنفسه في غير موضع من كتابه الكريم ، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [1] وقال جل شأنه : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [2] ، وقال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [3] .

وكرر إثباتها في آيتين متتاليتين ، مع ذكر بعض صفاته وأسمائه الحسنى في سورة الحشر ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4] .

وما دامت هذه الكلمة أول كلمة يلزم أن ينطق بها الكافر معلنًا بها إسلامه ، وأن من نطق بها صادقًا حرم ماله ودمه ، فإن ذلك يستوجب معرفة معناها ومقتضاها وفضلها ومكانتها في الحياة ، وأركانها ، وشروطها ، وقد بسط المؤلف القول في ذلك ، ثم اعتنى بنقطة مهمة ، وهي متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله ، ومتى لا ينفعه ذلك ؟ وبين أن مجرد التلفظ بها لا يكفي ، مزيلا الوهم الموجود عند بعض الناس حول ذلك ، وقد أورد

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

(٢) سورة طه آية : ٨ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٤) سورة الحشر الآيتان : ٢٢ - ٢٣ .

حول هذه المسألة عددًا من أقوال أهل العلم ؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب والحافظ ابن رجب وغيرهم من أهل العلم ، مثبتًا بذلك أن من يقول لا إله إلا الله ولا يعمل بمقتضاها لا ينفعه ذلك ، بل إن ما يمارسه بعض الناس من أنواع الشرك الأكبر عند الأضرحة وقبور الصالحين يناقض كلمة (لا إله إلا الله) تمام المناقضة ، ويضادها تمام المضادة .

وقد ختم بحثه القيم ببيان الآثار الحميدة لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا ، على الفرد والجماعة ، وأنها عامل من عوامل اجتماع الأمة وقوتها ، وتوافر الأمن والطمأنينة لها ، وحصول السمو والرفعة لأهلها إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة الأخرى .

فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع الله بهذا الجهد ، وحقق به ما نصبوا إليه جميعًا ، والله الهادي سواء السبيل ، وهو ولينا فنعم المولى ونعم النصير .

عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وكل من اتبعه وتمسك بسنته إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذكره ، وأثنى على الذاكرين ، ووعدهم أجرًا عظيمًا ، فأمر بذكره مطلقًا ، وبعد الفراغ من العبادات . . . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ (1) .

وقال : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (2) .

وأمر بذكره أثناء أداء مناسك الحج خاصة ، فقال تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾ (3) .

وقال تعالى : ﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ (4) .

وقال تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ (5) .

وشرع إقامة الصلاة لذكره فقال : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ (6) .

---

(1) سورة النساء آية : ١٠٣ .

(2) سورة البقرة آية : ٢٠٠ .

(3) سورة البقرة آية : ١٩٨ .

(4) سورة الحج آية : ٢٨ .

(5) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .

(6) سورة طه آية : ١٤ .

وقال النبي ﷺ ﴿ أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله ﴾ [1] (رواه مسلم) . . . وقال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ ﴾ [2] .

ولما كان أفضل الذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ خير الدعاء دعاء عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ﴾ [3] (رواه الترمذي) ولما كانت هذه الكلمة العظيمة (لا إله إلا الله) لها هذه المترلة العالية من بين أنواع الذكر ويتعلق بها أحكام ، ولها شروط ، ولها معنى ومقتضى ، فليست كلمة تقال باللسان فقط ، لمّا كان الأمر كذلك آثرت أن تكون موضوع حديثي ، راجيًا من الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهلها المستمسكين بها ، والعارفين لمعناها ، العاملين بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا .

وسيكون حديثي عن هذه الكلمة في حدود النقاط التالية : -

مكانة لا إله إلا الله في الحياة ، وفضلها ، وإعرابها ، وأركانها وشروطها ومعناها ، ومقتضاها ، ومتى ينفع الإنسان التلفظ بها ، ومتى لا ينفعه ذلك ، وآثارها ، فأقول مستعينًا بالله تعالى : -

(١) مسلم الصيام (١١٤١) ، أحمد (٧٥/٥) .

(٢) سورة الأحزاب الآيتان : ٤١ - ٤٢ .

(٣) الترمذي الدعوات (٣٥٨٥) .

مكانة لا إله إلا الله في الحياة

إنها كلمة يعلنها المسلمون في أذانهم وإقامتهم وفي خطبهم ومحادثاتهم ، وهي كلمة قامت بها الأرض والسماوات ، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات ، وبها أرسل الله رسله ، وأنزل كتبه وشرع شرائعه ، ولأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار ، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار ، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب ، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة ، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب ، وعليها يقع الثواب والعقاب ، وعليها نصبت القبلة ، وعليها أسست الملة ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهي حق الله على جميع العباد ، فهي كلمة الإسلام ، ومفتاح دار السلام ، وعنها يسأل الأولون والآخرون . . . فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين : (ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟) ، وجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقرارًا وعملا ، وجواب الثانية بتحقيق (أن محمدًا رسول الله معرفة وانقيادًا وطاعة) .

هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام ، وهي كلمة التقوى ، والعروة الوثقى ، وهي التي جعلها إبراهيم : ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [1] . وهي التي شهد الله بها لنفسه ، وشهدت بها ملائكته وأولو العلم من خلقه ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [2] ، وانظر مجموعة التوحيد .

وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ولأجلها خلق الخلق كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [3] .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٨ .

(٣) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، كما قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [2] .

قال ابن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله ، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر ، ففي الصحيح عن النبي ﷺ ﴿ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ﴾ [3] (رواه مسلم في الإيمان برقم (٢٣) .) وهي أول ما يطلب من الكفار عندما يدعون إلى الإسلام ، فإن النبي ﷺ ﴿ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له : إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ﴾ [4] الحديث أخرجاه في الصحيحين (رواه البخاري (٣/٢٥٥) ومسلم في الإيمان برقم (١٩) .) .

وبهذا تعلم مكانتها في الدين وأهميتها في الحياة ، وأنها أول واجب على العباد ؛ لأنها الأساس الذي تبنى عليه جميع الأعمال .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٢) سورة النحل آية : ٢ .

(٣) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٦/٣٩٤) .

(٤) البخاري الزكاة (١٣٨٩) ، مسلم الإيمان (١٩) ، الترمذي الزكاة (٦٢٥) ، النسائي الزكاة (٢٤٣٥) ، أبو داود الزكاة (١٥٨٤) ، ابن ماجه الزكاة (١٧٨٣) ، أحمد (١/٢٣٣) ، الدارمي الزكاة (١٦١٤) .

فضل لا إله إلا الله

فلها فضائل عظيمة ، ولها من الله مكانة ، من قالها صادقًا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله في الدنيا وحسابه على الله ﷻ وهي كلمة وجيزة اللفظ ، قليلة الحروف ، خفيفة على اللسان ، ثقيلة في الميزان ، فقد روى ابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ قال موسى يا رب ، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به ، قال : يا موسى ، قل لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى ، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله ﴾ [1] (رواه الحاكم (٥٢٨/١) وابن حبان برقم (٢٣٢٤) مورد الظمآن .) فالحديث يدل على أن لا إله إلا الله هي أفضل الذكر ، وفي حديث عبد الله بن عمر مرفوعًا : ﴿ خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ﴾ [2] رواه أحمد والترمذي (الترمذي في الدعوات رقم (٣٥٧٩) .) ومما يدل على ثقلها في الميزان أيضًا ما رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن عبد الله بن عمرو : قال النبي ﷺ ﴿ يُصَاح برجل من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ، ثم يقال أتنكر من هذا شيئًا ؟ فيقول : لا يا رب ، فيقال : ألك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول لا . فيقال : بلى إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت

(١) أحمد (١٧٠/٢) .

(٢) الترمذي الدعوات (٣٥٨٥) .

البطاقة ﴾ [1] (رواه الترمذي رقم (٢٦٤١) في الإيمان والحاكم (١ /٥٠ ٦) وغيرهما .) ولهذه الكلمة العظيمة فضائل كثيرة ذكر جملة منها الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة (كلمة الإخلاص) واستدل لكل فضيلة ، ومنها : أنها ثمن الجنة ، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة ، وهي نجاة من النار : وهي توجب المغفرة ، وهي أحسن الحسنات ، وهي تمحو الذنوب والخطايا ، وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب وترجح بصحائف الذنوب ، وهي تخرق الحجب حتى تصل إلى الله ﷻ وهي الكلمة التي يصدّق الله قائلها ، وهي أفضل ما قاله النبيون ، وهي أفضل الذكر ، وهي أفضل الأعمال ، وأكثرها تضعيفاً ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزًا من الشيطان ، وهي أمان من وحشة القبر وهول الحشر ، وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم ، ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها ، هذه عناوين الفضائل التي ذكرها ابن رجب في رسالته واستدل لكل واحد منها .

(١) الترمذي الإيمان (٢٦٣٩) ، ابن ماجه الزهد (٤٣٠٠) .

إعرابها وأركانها وشروطها

أ- إعرابها :

إذا كان فهم المعنى يتوقف على معرفة إعراب الجمل ، فإن العلماء - رحمهم الله - قد اهتموا بإعراب لا إله إلا الله ، فقالوا : (لا) نافية للجنس ، و(إله) اسمها مبني معها على الفتح ، وخبرها محذوف تقديره : (حق) أي لا إله حق ، و(إلا الله) استثناء من الخبر المرفوع ، والإله معناه : المألوه بالعبادة ، وهو الذي تألهه القلوب وتقصده رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضرر ، ويغلط من قدر خبرها بكلمة : (موجود أو معبود) فقط ؛ لأنه يوجد معبودات كثيرة من الأصنام والأضرحة وغيرها ولكن المعبود بحق هو الله ، وما سواه فمعبود بالباطل ، وعبادته باطلة ، وهذا مقتضى ركني لا إله إلا الله .

ب - ركنا لا إله إلا الله :

لها ركنان : الركن الأول النفي ، والركن الثاني الإثبات .

والمراد بالنفي نفي الإلهية عما سوى الله تعالى من سائر المخلوقات .

والمراد بالإثبات إثبات الإلهية لله سبحانه فهو الإله الحق ، وما سواه من الآلهة التي اتخذها المشركون فكلها باطلة ، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ (1) .

قال الإمام ابن القيم : فدلالة لا إله إلا الله على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله : الله إله ، وهذا لأن قول (الله إله) لا ينفي إلهية ما سواه بخلاف قول : لا إله إلا الله فإنه يقتضي حصر الألوهية ونفيها عما سواه ، وقد غلط غلطًا فاحشًا كذلك من فسر الإله بأنه القادر على الاختراع فقط .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله في شرح كتاب التوحيد : فإن قيل قد تبين معنى الإله والإلهية فما الجواب عن قول من قال بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه

(1) سورة الحج آية : ٦٢ .

العبارة ؟ قيل : الجواب من وجهين ؛ أحدهما أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة ، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم ، فيكون هذا القول باطلا .

الثاني : على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للإله الحق ، فإن اللازم أن يكون خالقًا قادرًا على الاختراع ، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سمي إلهًا ، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام ، فإن هذا لا يقوله أحد ؛ لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين ، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية .

جـ – وأما شروط لا إله إلا الله :

فإنها لا تنفع قائلها إلا بسبعة شروط :

الأول : العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا ، فمن تلفظ بها وهو لا يعرف معناها ومقتضاها فإنها لا تنفعه ؛ لأنه لم يعتقد ما تدل عليه ، كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها .

الثاني : اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب .

الثالث : الإخلاص المنافي للشرك ، وهو ما تدل عليه لا إله إلا الله .

الرابع : الصدق المانع من النفاق ، فإنهم يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها .

الخامس : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والسرور بذلك ، بخلاف ما عليه المنافقون .

السادس : الانقياد بأداء حقوقها ، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته ، وهذا هو مقتضاها .

السابع : القبول المنافي للرد ، وذلك بالانقياد لأوامر الله وترك ما نهى عنه .

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بخصوص هذه الكلمة العظيمة ، وبيان حقوقها وقيودها ، وأنها ليست مجرد لفظ يقال باللسان .

معنى هذه الكلمة ومقتضاها

اتضح مما سبق أن معنى لا إله إلا الله ، لا معبود بحق إلا إله واحد ، وهو الله وحده لا شريك له ؛ لأنه المستحق للعبادة فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل ؛ لأنه لا يستحق العبادة .

ولهذا كثيرًا ما يرد الأمر بعبادة الله مقرونًا بنفي عبادة ما سواه ؛ لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [(1)] .

وقال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [(2)] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [(3)] .

وقال ﷺ ﴿ من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله ﴾ [(4)] (صحيح مسلم رقم (٢٣) كتاب الإيمان .) .

وكل رسول يقول لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [(5)] . . . إلى غير ذلك من الأدلة قال الإمام ابن رجب رحمه الله : وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله ، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ، ومحبة وخوفًا ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل .

---

(١) سورة النساء آية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٦ .

(٣) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٤) مسلم الإيمان (٢٣) ، أحمد (٣٩٤/٦) .

(٥) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش : قولوا لا إله إلا الله ، قالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (١) . ففهموا من هذه الكلمة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها ، وتحصر العبادة لله وحده ، وهم لا يريدون ذلك ، فتبين بهذا المعنى أن معنى لا إله إلا الله ومقتضاها إفراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، فإذا قال العبد : لا إله إلا الله فقد أعلن وجوب إفراد الله بالعبادة ، وبطلان عبادة ما سواه والقبور والأولياء والصالحين ، وبهذا يبطل ما يعتقده عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بأن الله موجود ، أو أنه هو الخالق القادر على الاختراع وأشباه ذلك . أو أن معناها لا حاكمية إلا لله ، ويظنون أن من اعتقد ذلك وفسر به لا إله إلا الله فقد حقق التوحيد المطلق ، ولو فعل ما فعل من عبادة غير الله والاعتقاد بالأموات ، والتقرب إليهم بالذبائح والنذور والطواف بقبورهم والتبرك بتربتهم ، وما شعر هؤلاء أن كفار العرب الأولين يشاركونهم في هذا الاعتقاد ، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على الاختراع ، ويقرون بذلك وأنهم ما عبدوا غيره إلا لزعمهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى لا أنهم يخلقون ويرزقون ، فالحاكمية جزء من معنى لا إله إلا الله وليست هي معناها الحقيقي المطلوب ، فلا يكفي الحكم بالشريعة في الحقوق والحدود والخصومات مع وجود الشرك في العبادة .

ولو كان معنى لا إله إلا الله ما زعمه هؤلاء لم يكن بين الرسول ﷺ وبين المشركين نزاع ، بل كانوا يبادرون إلى إجابة الرسول ﷺ إذا قال لهم : أقروا بأن الله هو القادر على الاختراع ، أو أقروا أن الله موجود ، أو قال لهم : تحاكموا إلى الشريعة في الدماء والأموال والحقوق وسكت عن العبادة ، لكن القوم وهم أهل اللسان العربي فهموا أنهم إذا قالوا (لا إله إلا الله) فقد أقروا ببطلان عبادة الأصنام ، وأن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ لا

(١) سورة ص آية : ٥ .

معنى له ، ولهذا نفروا منها وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾ (١) .

كما قال الله عنهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢) . فعرفوا أن لا إله إلا الله تقتضي ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة ، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم وهم يأنفون من التناقض ، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع ، فهم يقولون لا إله إلا الله ، ثم ينقضونها بعبادة الأموات والتقرب إلى الأضرحة بأنواع من العبادات فتبا لمن كان أبو جهل وأبو لهب أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله .

والحاصل أن من قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها عاملا بمقتضاها ، ظاهرًا وباطنًا من نفي الشرك وإثبات العبادة لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته ، والعمل به فهو المسلم حقًّا ، ومن قالها وعمل بها وبمقتضاها ظاهرًا من غير اعتقاد لما دلت عليه فهو المنافق ، ومن قالها بلسانه وعمل بخلافها من الشرك المنافي لها فهو المشرك المتناقض ، فلا بد مع النطق بهذه الكلمة من معرفة معناها ؛ لأن ذلك وسيلة للعمل بمقتضاها قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (٣) .

والعمل بمقتضاها هو عبادة الله والكفر بعبادة ما سواه ، وهو الغاية المقصودة من هذه الكلمة ، ومن مقتضى لا إله إلا الله قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم ، ورفض تشريع من سواه ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (٤) ، فلا بد من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها ورفض القوانين

(١) سورة ص آية : ٥ .

(٢) سورة الصافات الآيتان : ٣٥ - ٣٦ .

(٣) سورة الزخرف آية : ٨٦ .

(٤) سورة الشورى آية : ٢١ .

الوضعية ، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يبتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن في العبادات ، ومن تقبل شيئًا من ذلك فهو مشرك كما قال في هذه الآية : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [(1)] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [(2)] .

وقال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(3)] .

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ ﴿ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، لسنا نعبدهم ، قال : أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ قال : بلى . قال النبي ﷺ فتلك عبادتهم ﴾ [(4)] (رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير .) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله : فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا كما هو الواقع في هذه الأمة ، وهذا من الشرك الأكبر ، المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله . . . فتبين أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة .

وكذلك يجب رفض التحاكم للقوانين ؛ لأنه يجب التحاكم إلى كتاب الله وترك التحاكم إلى ما عداه من النظم والقوانين البشرية . . .

قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [(5)] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ [(6)] . وقد حكم سبحانه بكفر من لم يحكم بما أنزل الله وبظلمه وفسقه ، ونفى عنه الإيمان مما يدل

---

(١) سورة الشورى آية : ٢١ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٢١ .

(٣) سورة التوبة آية : ٣١ .

(٤) الترمذي تفسير القرآن (٣٠٩٥) .

(٥) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٦) سورة الشورى آية : ١٠ .

على أن الحكم بغير ما أنزل الله إذا كان الحاكم به يستبيحه أو يرى أنه أصلح من حكم الله وأحسن فهذا كفر وشرك ينافي التوحيد ويناقض لا إله إلا الله تمام المناقضة ، وإن كان لا يستبيح ذلك ، ويعتقد أن حكم الله هو الذي يجب الحكم به ، ولكن حمله الهوى على مخالفته فهذا كفر أصغر وشرك أصغر يُنقِّضُ معنى لا إله إلا الله ومقتضاها .

إذًا فلا إله إلا الله منهج متكامل يجب أن يسيطر على حياة المسلمين وجميع عباداتهم وتصرفاتهم ، فليست لفظًا يردد للبركة والأوراد الصباحية والمسائية بدون فهم لمعناه وعمل بمقتضاه والسير على منهجه كما يظنه كثير ممن يتلفظون بها بألسنتهم ، ويخالفونها في معتقداتهم وتصرفاتهم .

ومن مقتضى لا إله إلا الله إثبات أسماء الله وصفاته التي سمى ووصف بها نفسه ، أو سماه ووصفه بها رسوله ﷺ وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (١) . قال في فتح المجيد : وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ، وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عباده ، ودلت على كماله جل وعلا .

وقال رحمه الله : فالإلحاد فيها إما بجحدها وإنكارها ، وإما بجحد معانيها وتعطيلها ، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات ، وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها . . . انتهى .

فمن ألحد في أسماء الله وصفاته بالتعطيل والتأويل أو التفويض و لم يعتقد ما دلت عليه من المعاني الجليلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة فقد خالف مدلول لا إله إلا الله ؛ لأن الإله هو الذي يدعى ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته ، كما قال تعالى : ﴿ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ (٢) والذي ليس له أسماء ولا صفات كيف يكون إلها وكيف يدعى وبماذا يدعى . . .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات ، وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها ، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانًا ، وأن العناية ببيانها أهم ؛ لأنها من تمام تحقيق الشهادتين ، وإثباتها من لوازم التوحيد فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بيانًا شافيًا لا يقع فيه لبس .

وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس .

وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام ، أعني فهم أصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية .

وقال أيضًا : وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهًا ولا مدبرًا ولا ربًّا ، بل هو مذموم معيب ناقص ، ليس له الحمد لا في الأولى ولا في الآخرة ، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال ونعوت الجلال التي لأجلها استحق الحمد ، ولهذا سمى السلف كتبهم التي صنفوها في السنة ، وإثبات صفات الرب وعلوه في خلقه وكلامه وتكليمه توحيدًا ؛ لأن نفي ذلك وإنكاره والكفر به إنكار للصانع وجحد له ، وإنما توحيده إثبات صفات كماله وتنزيهه عن التشبيه والنقائص .

متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله ومتى لا ينفعه

سبق أن قلنا أن قول لا إله إلا الله لا بد أن يكون مصحوبًا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها ، ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها أن مجرد التلفظ بها يكفي ، وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس ، اقتضى الأمر إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمن يريد الحق ، قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله على حديث عتبان . . . الذي فيه : ﴿ فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ﴾ [1] (رواه البخاري ٢٠٦/١١ ومسلم رقم (٣٣) .) قال : اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث ، وحديث أنس قال : ﴿ كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال : يا معاذ ، قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله على النار ﴾ [2] (رواه البخاري ١٩٩/١ .) ولمسلم عن عبادة مرفوعًا : ﴿ ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله حرمه الله على النار ﴾ [3] (صحيح مسلم (٢٢٨/١-٢٢٩) بشرح النووي .) ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ، وليس فيها أنه يحرم على النار ، منها حديث عبادة الذي تقدم قريبًا وحديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك - الحديث وفيه - فقال رسول الله ﷺ ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة ﴾ [4] رواه مسلم (صحيح مسلم مع شرح النووي (٢٢٤/١) .) .

---

(١) البخاري الصلاة (٤١٥) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٣٣) .

(٢) البخاري العلم (١٢٨) ، مسلم الإيمان (٣٢) ، أحمد (٢٦١/٣) .

(٣) مسلم الإيمان (٢٩) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٨) ، أحمد (٣١٨/٥) .

(٤) مسلم الإيمان (٢٧) ، أحمد (٤٢١/٢) .

ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال : وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره : إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها ، كما جاءت مقيدة وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين ، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة ؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى ، بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا ، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك ، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة ، وتواترت بأن كثيرًا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها ، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم ، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله ، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها ، وأكثر من يقولها يقولها تقليدًا وعادة لم يخالط الإيمان بشاشة قلبه ، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث ﴿ سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ﴾ [1] وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم وهم أقرب الناس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2] وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرًا على ذنب أصلا ، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كراهية لما أمر الله ، وهذا هو الذي يحرم على النار ، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك ، فإن هذا

---

(١) البخاري العلم (٨٦) ، مسلم الكسوف (٩٠٥) ، أحمد (٦/٣٥٥) ، مالك النداء للصلاة (٤٤٧) .

(٢) سورة الزخرف آية : ٢٢ .

الإيمان وهذه التوبة وهذا الإخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنبًا إلا يمحى كما يمحى الليل بالنهار ، انتهى كلامه رحمه الله .

ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

ولهم شبهة أخرى يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله ، وقال : ﴿ أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ﴾ [1] وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها ، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل ، فيقال لهؤلاء الجهال : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله ، وأصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ويصلّون ويدَّعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئًا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ! ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث .

وقال رحمه الله : فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفًا على دمه وماله ، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله في ذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [2] . أي : فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله : ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [3] ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى ، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا أن تبين منه ما يناقض ذلك . . . والدليل على

(١) البخاري المغازي (٤٠٢١) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أحمد (٥/٢٠٠) .
(٢) سورة النساء آية : ٩٤ .
(٣) سورة النساء آية : ٩٤ .

هذا أن الرسول ﷺ الذي قال : ﴿ أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ﴾ [1] وقال : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ [2] هو الذي قال في الخوارج : ﴿ أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ﴾ [3] مع كونهم من أكثر الناس تهليلا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة .

ما قاله الحافظ ابن رجب :

وقال الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة : " كلمة الإخلاص " على قوله ﷺ ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ﴾ [4] قال : ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة ، وفهم الصديق أنه لا يمنع قتاله إلا بأداء حقوقهما ؛ لقوله ﷺ ﴿ فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﴾ [5] ، وقال : ﴿ الزكاة حق المال ﴾ [6] وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا

---

(١) البخاري المغازي (٤٠٢١) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أحمد (٥/٢٠٠) .

(٢) البخاري الصلاة (٣٨٥) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٦٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٣/٢٢٥) .

(٣) النسائي الزكاة (٢٥٧٨) .

(٤) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٥) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٦) البخاري الزكاة (١٣٣٥) ، مسلم الإيمان (٢٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٧) ، النسائي الجهاد (٣٠٩٢) ، أبو داود الزكاة (١٥٥٦) ، أحمد (١/١٩) .

الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ [1] وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ ﴾ [2] . كما دل قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ ﴾ [3] على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد ، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابًا فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا ، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة ، وقال أيضًا : وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن التلفظ بلا إله إلا الله سبب لدخول الجنة ولخروج الجناة من النار ومقتضى لذلك .

ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع - وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر - ثم ذكر عن الحسن البصري أنه قال للفرزدق وهو يدفن امرأته : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ، قال الحسن : نعم العدة ، لكن لا إله إلا الله شروط فإياك وقذف المحصنات ، وقيل للحسن : إن أناسًا يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال : من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة ، وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك .

وأظن أن في هذا القدر الذي نقلته من كلام أهل العلم كفاية في رد هذه الشبهة التي تعلق بها من ظن أن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولو فعل ما فعل من أنواع الشرك الأكبر التي تمارس اليوم عند الأضرحة وقبور الصالحين مما يناقض كلمة لا إله إلا الله تمام المناقضة ، ويضادها تمام المضادة ، وهذه طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون من النصوص

(١) البخاري الإيمان (٢٥) ، مسلم الإيمان (٢٢) .

(٢) سورة التوبة آية : ٥ .

(٣) سورة التوبة آية : ١١ .

المجملة ما يظنون أنه حجة لهم ، ويتركون ما يبينه ويوضحه النصوص المفصلة كحال الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، وقد قال الله في هذا النوع من الناس : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ (١) . اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . . .

(١) سورة آل عمران الآيات : ٧ - ٩ .

آثار لا إله إلا الله

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا آثار حميدة على الفرد والجماعة من أهمها : -

١ــ اجتماع الكلمة التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين والانتصار على عدوهم ؛ لأنهم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة كما قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [1] . وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [2] . والاختلاف في العقيدة يسبب التفرق والنزاع والتناحر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ ﴾ [3] . وقال تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [4] . فلا يجمع الناس سوى عقيدة الإيمان والتوحيد التي هي مدلول لا إله إلا الله ، واعتبر ذلك بحالة العرب قبل الإسلام وبعده .

٢ــ توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحد الذي يدين بمقتضى لا إله إلا الله لأن كلا من أفراده يأخذ ما أحل الله له ويترك ما حرم الله عليه تفاعلا مع عقيدته التي تملي عليه ذلك ، فينكف عن الاعتداء والظلم والعدوان ويحل محل ذلك التعاون والمحبة والموالاة في الله عملا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [5] . يظهر هذا جليًا في حالة العرب قبل أن يدينوا بهذه الكلمة وبعدما دانوا بها ، فقد كانوا من قبل أعداء

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٢) سورة الأنفال الآيتان : ٦٢ - ٦٣ .
(٣) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٤) سورة المؤمنون آية : ٥٣ .
(٥) سورة الحجرات آية : ١٠ .

متناحرين يفتخرون بالقتل والنهب والسلب فلما دانوا بها أصبحوا إخوة متحابين كما قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ (٢) .

٣ــ حصول السيادة والاستخلاف في الأرض وصفاء الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادئ المختلفة ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ (٣) فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلا الله .

٤ – حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهني لمن قال لا إله إلا الله وعمل بمقتضاها ؛ لأنه يعبد ربًّا واحدًا يعرف مراده وما يرضيه فيفعله ، ويعرف ما يسخطه فيجتنبه ، بخلاف من يعبد آلهة متعددة كل واحد منها له مراد غير مراد الآخر ، وله تدبير غير تدبير الآخر كما قال تعالى : ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ﴾ (٥) .

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٣) سورة النور آية : ٥٥ .
(٤) سورة يوسف آية : ٣٩ .
(٥) سورة الزمر آية : ٢٩ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ، فالمشرك بمترلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون ، والرجل المتشاكس : السيئ الخلق .

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين ، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه ، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه ، فهل يستوي هذان العبدان !

٥ – حصول السمو والرفعة لأهل لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة – كما قال تعالى : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝ ﴾ [1] . فدلت الآية على أن التوحيد علو وارتفاع وأن الشرك هبوط وسفول وسقوط .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسماء التي هي مصعده ومهبطه ، فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها ، وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين من حيث التضييق الشديد والآلام المتراكمة والطير التي تخطف أعضاءه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها الله تعالى وتؤزره وتزعجه وتقلقه إلى مظان هلاكه ، والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده عن السماء .

٦ – عصمة الدم والمال والعرض ؛ لقوله ﷺ ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ﴾ [2] (رواه البخاري

---

(١) سورة الحج آية : ٣١ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٧٨٦) ، مسلم الإيمان (٢١) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٦) ، النسائي تحريم الدم (٣٩٧١) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٠) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٢٨) ، أحمد (١/١١) .

(٢١٧/١٣) في الاعتصام .) ، وقوله (بحقها) معناه أنهم إذا قالوها وامتنعوا من القيام بحقها وهو أداء ما تقتضيه من التوحيد والابتعاد عن الشرك ، والقيام بأركان الإسلام أنها لا تعصم أموالهم ولا دماءهم بل يقتلون ، وتؤخذ أموالهم غنيمة للمسلمين كما فعل بهم النبي ﷺ وخلفاؤه .

هذا ولهذه الكلمة آثار عظيمة على الفرد والجماعة في العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق . . .

وبالله التوفيق ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- صحيح البخاري

٣- صحيح مسلم

٤- سنن الترمذي

٥- مستدرك الحاكم

٦- صحيح ابن حبان

٧- زاد المعاد لابن القيم

٨- كلمة الإخلاص لابن رجب

٩- تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد

١٠- فتح المجيد

١١- مدارج السالكين لابن القيم

١٢- مختصر الصواعق المرسلة

١٣- مجموعة التوحيد

١٤- أعلام الموقعين

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس